The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
EISSN: 2959-4820
Volume 1, Issue 3, July-September 2023, Page No: 56-63
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2023: 3.733 ISI 2023: 0.383

الحكم المستنصر (302-399هـ/915-976م) وجهوده العلمية

آلاء علـي حسين[1*]، هشام ناظم زياد[2]
[1] قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة الكوفة، النجف الاشرف، العراق
[2] قسم السياحة، معهد الادارة التقني، الجامعة التقنية الوسطى، كربلاء المقدسة، العراق

Al_-Hukam Al-Mustansir (302-399 AH / 915-976 AD) and his scientific efforts

Ala'a Ali Husain[1*]، Hisham Nazim Ziad[2]
[1] Department of Mass Communication، College of Arts، University of Kufa، Najaf، Iraq
[2]Department of Tourism، Institute of Technical Management، Central Technical University، Karbala، Iraq

*Corresponding author alaaa.almajdi@uokufa.edu.iq *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2023-06-12 تاريخ القبول: 2023-07-21 تاريخ النشر: 2023-07-25

الملخص

يهدف البحث الى التعرف على أحد أساطين العلم والسياسة في التاريخ العربي الاسلامي لمدينة الأندلس، إذ شـــهدت الاخيرة في عهده تقدماً علمياً وازدهاراً فكرياً، الا وهو الحاكم الأموي الحكم المستنصر، وتأتي هذه الدراسة بوصفها محاولة لإلقاء الضوء وبشكل مركز على البيئة التي عاش فيها، والقنوات الفكرية والمعرفية التي نهل منها، ثم أثره في تاريخ مدينته، كما وتناولت الدراســـة هذه جهوده في التأليف وتقريبه للعلماء والكّتاب والعلماء والأدباء، وإلى تأسيس مكتبة وصفت بأنها "أشهر مكتبة في التاريخ الإسلامي" وبذلك خَط اسمه في كتب تراجم الأعلام البارزين في الحضارة العربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: المحيط الأسـري، القنوات الفكرية، التراث الأندلسـي، الاسـتقرار السـياسـي، تقريب العلماء، تأسيس المكتبة.

Abstract:
This research aims to identify one of the legends of science and politics in the Arab-Islamic history of the city of Andalusia، as the latter witnessed during his reign scientific progress and intellectual prosperity، namely، the Umayyad ruler، Al-Hakam Al-Mustansir and its impact on history his city، and this stud also dealt with his efforts in authority and bringing him closer to scholars، writers and described as "the most famous library in Islamic history " and thus wrote his name in the book of biographies of prominent figures in the Arab-Islamic civilizations .

Keywords: Family Environment، Intellectual Channels، Andalusian Heritage، Political Stability، Bringing Scholars Closer، Establishing the Library.

المقدمة

اخذ تاريخ الأندلس السياسي حيزه ضمن الدراسات التاريخية، أما تاريخه الحضاري فلم يلق من العناية الا حظاً يسيراً، فكانت حضارته ممتزجة بالتقاليد المشرقية التي وصلت اليه بجهود بعض الخلفاء الامويين الذين تولوا الحكم فيه وأدركوا أهمية العلم والعلماء، فاجتهدوا في خدمة الحركة العلمية في الأندلس، وكان الحكم المستنصر أحد هؤلاء الخلفاء الذين لم يألوا جهدًا في سبيل إبراز قرطبة مركزاً حضارياً واشعاعاً فكرياً. وكان هذا الموضوع دافعا لدراسة جهده في الحركة العلمية في الأندلس، فضلاً عن متابعته القضايا السياسية والتطورات العسكرية، ولسعة إ طلاعه بتاريخ البلدان وتراجم القادة البارزين أراد وبشكل مائز ان يكون لمدينته تاريخاً حضارياً مشرقاً، وقد وظف كل ما يمكن توظيفه لذلك.

اسئلة البحث:

ومن خلال قراءة المصادر والمراجع التي استعانوا بها الباحثين في كتابه بحثهما هذا قدحت في بالهما جملة من الاسئلة منها:

- من هو الحكم المستنصر؟
- كيف كانت نشأته، وما القنوات الفكرية التي ساهمت في بلورة شخصيته؟
- هل أنصب اهتمامه بجانب معرفي دون آخر؟
- كيف كانت الأوضاع السياسية في الأندلس أبان عهد أبيه وأثناء عهده؟
- ما الوسائل التي وظفها لتحقيق ما سعى اليه؟ هذه الاسئلة وسواها حاول الباحثان جهدهما الاجابة عنها من خلال بحثهما هذا.

هيكلية البحث:

تكّون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول: ولادته ونشأته العلمية، مبينًا فيه دور الاسرة والعلماء الذين تتلمذ على أيديهم ومساهمتهم في إذكاء حب العلم ومواصلة الدرس ومقاربة العلماء.

فيما سلط المبحث الثاني الضوء على جهده في تقريب العلماء وتهيئته كل الوسائل الممكنة لخلق أجواء التأليف وتشذيب بعض المصادر وتجليدها وتهذيبها لإبراز الكتاب بـ (أحلى حله).

ولما كانت الكتب قد حظيت في عهده بهذا الاهتمام فكان لابد من إيجاد مكتبات تحفظ هذه المصنفات والكتب وما وصلت اليه من المشرق من أمهات الكتب، ولذا فقد درس المبحث الثالث جهوده في إنشاء المكتبة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث بمنظور مختلف عما هو معروف عن الحكام والقادة السياسيين واهتمامهم بإدارة دولهم والبقاء أطول مدة ممكنة في السلطة وهنا نجد مهارة تطبيق منهج الموارد البشرية بشكله الصحيح وأتباع سياسة (التهدئة)والابتعاد عن الصراعات السياسية والعسكرية التي من شأنها عاشت الأندلس هدوءً ملحوظاً، فضلاً عن اهتمام الحكم المستنصر بالجانب العلمي اهتماماً منقطع النظير إذ لم يترك وسيلة يمكن من خلالها تضاف إضافة معرفية الا وظفها.

أهداف البحث:

- تسليط الضوء على الجانب الآخر من الحكام الامويين.
- لمحة عن البيئة التي عاش فيها الحكم المستنصر.

- تسليط الضوء على أهم القنوات الفكرية التي ساهمت في بنائه المعرفي.
- الاشارة الي الاوضاع السياسية التي شهدتها الأندلس في عهده.
- دراسة أهم الاسماء التي ساهمت نتاجاتها الفكرية في كتابة تاريخ الأندلس الحضاري.
- تسليط الضوء على جهوده في تأسيس مكتبة كبيرة حجماً ومضموناً لخزن ما تم جمعه وتأليفه وما وصل اليه من هدايا.

اعتمد البحث على جملة من المصادر انصب أغلبها في إيضاح جوهر موضوع البحث ودارت حوله. ومنها: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمؤلفه الحميدي (ت 488هـ)، وفيه تناول اسماء رواه الحديث بالأندلس، واهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر، والولاة ومن له ذكر منهم وكتابي التكملة والحلة السيراء لابن الابار، ومصادر اخرى حاولت الباحثة جهدها ان توظفها في متن البحث.

المبحث الأول

ولادة الحكم المستنصر ونشأته العلمية

ولد الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله في 24جمادى الأولى وقيل في غرة رجب سنة(302هـ/ 915 م) في قرطبة وأمه أم ولد وتدعى مرجان (ابن الاثير[1987]،ص[270])[1] وكان لنشأة الحكم المستنصر العلمية على يد والده، اثر بالغ في تشكيل وعيه العلمي المبكر، فقد درس على ايدي نخبة من كبار علماء عصره، منهم : محمد قرطبي ' الذي درس عليه علوم اللغة والحساب، والآدب والنحو، وفاد منه دراسة العلوم بطريقة تحليلية عميقة، كما درس علوم الدين على يد العلامة قاسم بن اصبغ (الحميدي:[1977]،ص[312])[2]، وأخذ علوم التاريخ عن علي الرعيني، فكان لكل هؤلاء وغيرهم أعمق الأثر في تكوين شخصيته العلمية ·

وقد نتج عن إقبال الحكم المستنصر على دراسة العلوم والآداب، ومجالسته للعلماء أن أصبح شغوفًا بالعلم وتحصيله، مما كون لديه شخصيه علميه فذَّة، إذ قلما تجد كتاباً في خزانته الا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم، يقرؤه ويكتب فيه، أما في أوله او آخره أو في تضاعفيه – ولكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن وكان موثوقا له مأمونا عليه، صار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم ينقلونه من خطه ويحاضرون به (ابن الابار:[1963]،ص[202])[3]، وقد أشار الى ذلك الحميدي عند ترجمته لابن عبد ربه، اذ قال : "هذا آخر ما رأيت بخط الحكم المستنصر – وخطه حجة عند أهل العلم، لأنه كان عالماً ثبتاً" (الحميدي:[1977]،ص[115])[4]، وكذلك اعتمد علماء آخرون على هوامشه تلك وتعليقاته (ابن الفرضي:ص[354]،ص[361]،ج [2]،ص[134])[5].

يتضح مما تقدم ان دقة معلومات الحكم المستنصر وسعة اطلاعه وحرصه على إضافة ما لديه من المعلومات على الكتب التي يطالعها سواء أكان ذلك على شكل هوامش ام ملاحق او تعليقات، كما تتضح مكانته العلمية في حرص العلماء والكّتاب على الاعتداد بهذه المعلومات واعتبارها حجة في كتاباتهم (ابن حزم :[1977]، ص[81]، ص[282]، ص[375]ص [384]؛ النباهي:[1983]، ص[64_65])[6]،ليس ذلك فحسب بل إن بعضهم عمل على تتبع ملاحظاته وما سجل على الكتب وجمعها للاستفادة منها فيما كتب، وفي هذا يقول ابن الآبار : "اجتمع لي من ذلك جزء مفيد مما وجدته بخطه ووجدت انه يشتمل على فوائد

---

[1] ابن الاثير، أبو الحسن علي (ت[630]ه)، الكامل في التاريخ، مج[7].

[2] الحميدي، ابي محمد ابن ابي نصر الفتوح([488]ه)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن الدسوقي، (بيروت: [1977]).

[3] ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت[659]ه)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: [1963])،ج[1].

[4] الحميدي، مصدر سابق، ص[115].

[5] ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي(ت[403]ه)، تاريخ علماء الأندلس، ج [1]، (القاهرة: [1966])، ص[354]، ص[361]،ج [2]،ص[134].

[6] للمزيد ينظر: ابن حزم، أبو مجمد علي بن محمد (ت[456]ه)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: محمد عبدالسلام هارون، (القاهرة: [1977])،ص[81]،ص[292]،ص[357]،ص[384]؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت[753]ه)،الرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ط[5]،(بيروت:[1983])،ص[64_65].

جمة في أنواع شتى" (ابن الابار:1963،ص202ـ203)[7]، وقول كهذا صدر عن شخص خبر التراث الأندلسي وله فيه باع واسع ومشهود له بالمقدرة العلمية ما هي الا شهادة لعلمية الحكم المستنصر.

أهتم الحكم المستنصر بالتراجم كثيراً، كما أخذ علم الانساب قسطاً واسعاً من اهتمامه، فقد قيد كثيراً من أنساب أهل بلده وكلف أهل كور الأندلس أن يلحقوا كل عربي أُخمد ذكره قبل ولايته وان يصحح نسبهم اهل المعرفة بذلك، ويرد كل ذي نسب الى نسبه (ابن حزم:1977،ص8،ص81،ص292،ص375،ص384،ص398)[8]، فكثيراً ما كان يرجع العلامة ابن حزم في كتابه عن الانساب، الى ما وجده بخط الحكم المستنصر ويعتمده لإثبات نسب أحد الرجال، وفي بعض الاحيان كان يشير بأنه لا يعرف من نسب المترجم له أكثر مما وجده بخط الحكم المستنصر (ابن حزم:1977،ص384)[9]، فضلا عن ذلك فقد ذكر ان للحكم شعراً منه قوله :

عجبتُ وقد ودّعتُها كيف لم أمُتْ	
	وكيف انثَنَتْ بعد الوداع يدي معي
فيا مُقلتي العَبْرَى عليها اسكُبِي دمًا	
	ويا كبِدي الحَرَّى عليها تَقَطَّعي (ابن حزم:1977،ص398)[10]

ونتيجة لما تقدم من بيان لشخصيته العلمية، فإنه يستحق بجداره لقب عالم، وان يترجم له بين علماء الأندلس والحكم المستنصر وأن أبدى اهتماماً واسعاً بالجانب العلمي الا إنه لم يهمل الجانب العسكري بمعنى الجهاد والغزو (حسين:2009،ص483ـ490)[11]، فضلاً عن ما أكده إب الخطيب انه كان "ذا همة عالية في الجهاد، جعلت ملوك عصره يهادنونه ويسالمونه، لقوته وبأسه" (ابن الخطيب:1979،ص478)[12].

وعموماً كان عصره يشهد سلامًا نسبيًا مع ممالك النصارى، واستقرار لشتى مناطق الأندلس، وذلك بفعل معاهدات الصلح التي عقدها أبيه (الناصر) مع ملوك النصارى (الدوري: 1982،ص193)[13].

المبحث الثاني

تقريب الحكم المستنصر للعلماء وحثهم على التأليف

بذل الحكم المستنصر جهودًا كبيرة في استقدام العلماء الى الأندلس فأقام لهم سوقاً نافعة، وأنزلهم المنازل الرفيعة واغدق عليهم العطاء (الذهبي:1997،ص366)[14]، فكان من أهل الدين والعلم راغباً في جمع العلوم البشرية من الفقه والحديث وفنون العلم، مستجلباً للعلماء ورواة الحديث من جميع الأفاق (ابن

---

[7] ابن الابار، مصدر سابق، ص202ـ203.

[8] للمزيد ينظر: ابن حزم، مصدر سابق، ص8، ص 81، ص292، ص375، ص384، ص398.

[9] ابن الابار، مصدر سابق، ص203.

[10] ابن حزم، مصدر سابق، ص398.

[11] لقد تعرضت حدود الأندلس وسواحلها الى اخطار خارجية في عهد الحكم المستنصر، فكانت غارات البحرية من القراصنة النورمانديين، الا انها لم تحقق أهدافها لسبب يقظة الاسطول الأندلسي واستعدادات الخلفية لذلك وبراعة قائد الاسطول وتقصي اخبار النورماند وتحركاتهم بواسطة جواسيس وعيون يرسلهم الى المناطق البعيدة في جليقة. للمزيد ينظر: حسين، حمدي عبد المنعم، تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، (القاهرة، 2009)، ص483ـ490.

[12] ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله (ت776ه)، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: محمد بن عنان، ط2، ج1، (القاهرة: 1979)، ص478.

[13] الدوري، ابراهيم ياس خضير، عبد الرحمن الداخل في الأندلس، (بغداد:١٩٨٢)، ص١٩٣.

[14] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨ه)، العبر في الخبر من غبر،ج1،(بيروت:1997)،ص366.

الابار:1963،ص200ـ201)[15]،فمن بين العلماء الذين وفدوا الى الأندلس بتشجيع من الحكم المستنصر : علي بن محمد بن اسماعيل المعروف بأبي حسن الأنطاكي الذي نزل مصر وأستقر بها فوجه اليه الحكم المستنصر من يدعوه الى المجيء الى الأندلس، فلبى طلبه ودخل قرطبة في شعبان سنة(325هـ)، وكان ابو الحسن هذا عالماً بالقراءات بصيراً بالعربية والحسابات وله حظ من الفقه (ابن الفرضي:1966،ص316)[16]، أبرز العلماء الوافدين الى الأندلس : ابو علي القالي المتوفى ت(٣٥٦هـ/٩٦٦م) الاديب واللغوي وقد ذكر ان الحكم المستنصر هو الذي كتب اليه ورغبه في المجيء الى الأندلس، كان ولياً للعهد، فدخل الأندلس سنة 330 هـ، فتلقاه الحكم بالجميل وبالغ في إكرامه (الحميدي:1997،ص165)[17]، وكان القالي إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متقنا لها، وقدومه من بغداد الى الأندلس (عباس :1960،ص44)[18]،كان بمثل نهضة في الدراسات اللغوية والادبية، وعنه تلقي الكثير من الأندلسيين اذ كان مكلفاً رسمياً بإلقاء المحاضرات على الطلاب والمساهمة في إيضاح ما التبس على الأندلسيين في مواضيع اللغة(جمال الدين:1962،ص15)[19]، ومن العلماء الذين استدعاهم الحكم المستنصر الى الأندلس ايضاً، محمد بن يوسف ابو عبدالله التاريخي الوراق المتوفى سنة (363هـ/973م)،الذي ألف له كتاباً ضخماً في (مسالك أفريقية وممالكها) (كحاله:د.ت،ص141)[20]،وغير هؤلاء من العلماء الذين احتفظوا بمكانة عالية عند الحكم المستنصر، فكانت لهم مكانتهم المتميزة في النهضة العلمية التي عرفتها الأندلس في عصر النهضة.

لم يقتصر على دعوته لهؤلاء العلماء على القدوم للأندلس إلقاء المحاضرات فحسب، بل حثهم على التأليف ومواصلة العطاء العلمي واضعاً تحت أيديهم كل إمكانياته المادية والمعنوية، يأخذ آرائهم ويشاركهم فيها كما فعل مع محمد بن حسن الزبيدي المتوفى سنة (379هـ/989م)عندما طلب منه ان يؤلف كتاباً للنحويين واللغويين (هيكل:1970،ص207)[21] فقال :"أمرني بتأليف كتاب يشمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام ثم من تلاهم من بعد الى هلم جرى الى زماننا هذا وان اطبقهم على أزمانهم وبلدانهم حسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم " (الزبيدي:1973،ص17)[22]، ولم يؤثر في هذا حقلاً علمياً على آخر فكثر التأليف وجاء العطاء في ميادين العلوم كافة". (سالم: 1986،ص292)[23]، وفي هذا الخصوص يقول ابن الفرضي: "بلغني انه الف له مائه ديوان" (ابن الفرضي:1966،ص113)[24]، كما جمع اسحاق بن سلمة الذي كان حافظاً لإخبار أهل الأندلس معتنياً بهما، كتاباً في أخبار الأندلس بأمر الخليفة الحكم المستنصر (ابن الفرضي: 1966،ص73)[25].

وقد أمر الحكم المستنصر بجمع شعر احمد بن محمد بن عبد ربه حيث رأى منه الحميدي ما يزيد على العشرين جزءاً (الحميدي: 1977،ص101)[26]، كما قام الحكم المستنصر بحث وترغيب الزبيدي في كتابة مؤلفه في (طبقات اللغوين والنحوين الأندلسيين) مما اصبح معتمداً لكل مؤلف في هذا الموضوع من بعد، ومن المقدمة يمكن ان نستدل ان الحكم المستنصر لم يحث الزبيدي على التأليف فقط، بل أمده بعنايته وعلمه وما حفظه من روايات (مطلق:1967،ص78)[27].

---

15 ابن الابار، مصدر سابق، ص200ـ201.
16 ابن الفرضي، مصدر سابق، ص316.
17 الحميدي، مصدر سابق، ص165.
18 عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي-عصر سيادة قرطبة، (بيروت: 1960)،ص44.
19 جمال الدين، محسن، أدباء بغداديون في الأندلس، (بغداد: 1962)، ص15.
20 ابن الابار، التكملة، ج1، (القاهرة:1955)،ص366؛ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين،ج12،(بيروت: د.ت)،ص141.
21 هيكل، أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، (القاهرة: 1970)، ص207.
22 الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (القاهرة: 1973)،ص17.
23 سالم، عبد العزيز، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط٢،(القاهرة:١٩٨٦)،ص٢٩٢.
24 ابن الفرضي، مصدر سابق، ص113.
25 المصدر نفسه، ج1، ص 73.
26 الحميدي، مصدر سابق، ص101.
27 مطلق، البير حبيب، الحركة اللغوية في الأندلس، (بيروت: 1976)، ص78.

ولإدراك الحكم المستنصر للتبويب والاختصار من قيمة علمية فهي تذلل الصعوبات أمام القراء على اختلاف مستوياتهم، فقد طلب من الفقيه محمد بن عبدالله بن سيد ان يبوب له مستخرجه العتبي (ابن الفرضي: 1966،ص37)[28]،كما شجع الحكم المستنصر ايضاً التأليف في الحديث والعمل على جمع المساند، من ذلك تكليفه لمحمد بن احمد في جمع مسند حديث قاسم بن اصبغ (الحميدي:1997،ص40)[29].

لم يغفل الحكم المستنصر علم الطب، اذ أولاه اهمية كبيرة، ففي سنة (351هـ / 962م) وَرَدَ الطبيبان أحمد وعمر ابن يونس الحراني الى بلاد الأندلس وهما يحملان خبرة طبية جيده في علاج امراض العيون، وفي سنة (360هـ / 970م) ورد الطيب محمد بن عبدون الجبلي الى بلاد الأندلس ولديه خبرة في صناعة بعض الوصفات الدوائية فحاول الحكم جاهداً ان يستفيد بن هؤلاء ومن خبرتهم خدمة لأبناء الأندلس (المقري:1949،ج2،ص351)[30]،وحتى التنجيم أخذ نصيبه من اهتمام الحكم المستنصر، فقد الف له ابن زيد الاسقف كتاب (تفضيل الازمان ومصالح الابدان) وفيه ذكر لمنازل القمر وما يستحسن تقربيه ومقصده (المقري:1949،ص186)[31]، وكان لاهتمامه هذا وتشجيعه للعلماء، أثره البالغ في تنوع عطائهم المعرفي والعلمي والثقافي، ولما كان لتلك المؤلفات من أهمية فقد أدرك ضرورة خزنها فتابع جهده المتواصل لإنشاء مكتبات لضم وحفظ هذه المؤلفات، وهذا ما سنشير اليه في المبحث القادم.

المبحث الثالث

جهود الحكم المستنصر في مجال المكتبة

حرص الحكم المستنصر على تعميم الفائدة لجميع الناس، فعمل على تأسيس مكتبات وله في هذا المجال العلمي باع واسع، كما انه كان شغوفاً فجمع الكتب ولا سيما المؤلفات النادرة فقد كان يرسل الثقاة من رجاله الى بلاد المشرق لشرائها مهما بلغت اثمانها، فوصلت اليه انفس المصنفات في شتى العلوم والمعارف القديمة والمعاصرة له حتى امتلأت خزائنه المكتبية بها (عباس:1960،ص66)[32].

ومن اجل توسيع مكتبته فقد كانت له جهوداً يشار لها بالبنان، اذ كان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ورجال يوجههم الى الانفاق بحثاً عنها ومن وراقيه ببغداد محمد بن طرخان المتوفى سنة(339ه/950م) (ابن الابار:1963،ص202)[33]،و في البصرة عمر بن محمد بن ابراهيم المعروف بأبن الوفي المتوفى سنة (380ه/990م)،حيث أقام بها عشرين سنة تولى خلالها للحكم ابتياع الكتب والذخائر هناك، ويقال انه مرت على يده من النفقات هناك من هذه الوجوه مقدار مائة الف وعشرون الف دينار (عياض:1968،ص573)[34]، كما كان للحكم المستنصر وراقون في أماكن أخرى من المشرق الاسلامي والأندلس (الحميدي:1997،ص13)[35]، وقد أغدق العطايا على البعيدين من العلماء والادباء والفقهاء، لكي يؤلفوا من أجل خزانته او يضيفوا كتبهم الى ما فيها (عباس:1960،ص66)[36]،وممن وصلتهم عطاياه ابو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان بمصر وابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وغيرهما، وعندما وصلت الى مسامعه اخبار كتاب الاغاني بعث الى مؤلفه ابي فرج الاصبهاني المتوفى سنة (356هـ/966م) الف دينار من الذهب الخالص، وخاطبه يلتمس منه نسخه من كتابه الذي الفه في الاغاني، فأرسل اليه من نسخة منقحة قبل ان يظهر الكتاب لأهل العراق او نسخه أحد منهم، كما ألف له ايضاً كتاباً في انساب قومه بني اميه موشحه بمناقبهم وأسماء رجالهم وارسله الى قرطبة مع قصيدة يمدحه

---

28 ابن الفرضي، مصدر سابق، ج2،ص173.
29 الحميدي، مصدر سابق، ص40.
30 المقري، شهاب الدين أحمد ابن محمد(ت1401ه)، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، (القاهرة: 1949)، ص351.
31 ابن الابار، التكملة، ج1، ص15؛ المقري، مصدر سابق، ج3، ص186.
32 عباس، مصدر سابق، ص66.
33 ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص202.
34 عياض، أبو الفضل بن موسى الحصبي السبتي(544ه)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير حمود، ج4، (بيروت:1968)،ص573.
35 الحميدي، مصدر سابق، ص13.
36 عباس، مصدر سابق، ص66.

فيها ويذكر مجد قومه بني أميه، فجدد له الحكم المستنصر الصلة الجزيلة (ابن الابار:1963،ص202)[37]، ومثلما فعل الحكم مع أبي الفرج، فعل مع القاضي ابي بكر الابهري وطلب منه ان يرسل اليه شرحه لمختصر ابن عبد الحكم (المقري:1949،ج1،ص386)[38]،وأقام الحكم المستنصر في قصره داراً لنسخ الكتب و تجليدها حيث عمل بها أمهر النساخين وأحذق المجلدين ممن برعوا في تلك الفنون (ابن خلدون:1971،ص146)[39]، ومن بينهم اسحاق ابن محمد بن اسحاق الذي كان من وراقيه قبل ولايته الخلافة (ابن الابار:1963،ص192)[40]، ومنهم عباس بن عمرو الوراق الذي اتصل به فتوسع له في الورق وصار من جملة وراقيه(ابن الفرضي :1966،ص299)[41]،كان ظفر البغدادي واحداً من الوافدين الى الأندلس، واستخدموا في الوراقة، فقد كان معروفاً بحسن خطه (المقري:1949،ص111)[42].

لم يقتصر الحكم المستنصر على جمع الكتب بل حرص على الحصول على الكتاب الجديد، مادة ونسخاً وتدقيقاً، وقد وظف لهذه الغاية علماء مختصين غايتهم مقابلة الكتب الواردة الى المكتبة وتدقيقها من التحريف والتصحيف، ويذكر عياض ان القاضي ابو بكر بن السليم الذي استخدم الخليفة لمقابلة الدواوين في بيت حكمته اذ حوت من كتب العلم ما لم يحوه بيت ملك، وممن وظفه ايضاً في مقابلة الكتب واجرى له على ذلك رزقاً احمد بن يوسف (عياض:1968،ص543)[43]،ولأهمية المقصد هذا فقد جعله خطه رسمية من خطط الدولة (عياض:1968،ص556)[44].

وبهذه الجهود وبغيرها مما ذكرنا سابقاً استطاع الحكم المستنصر أن يجمع أروع الكتب وأندرها، لكثرتها ونفائسها، وقد صنفت مكتبته بأكبر المكتبات في الأندلس، اذ بلغ عدد المجلدات التي تضمها أربعمائة الف مجلد (المقري:1949،ص395)[45]، هذا عدد ليس بقليل اذ وصفها ابن الآبار بأنها : "غصت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه" (ابن الابار:1963،ص201)[46].

ولعل سعة مكتبته هذه هي احتفاظه بمكتبة والده ومكتبة أخيه عبدالله الذي عرف عنه ايضاً باهتمامه بالعلم وجمعه للكتب، فضلًا عن مكتبته، وبذلك صارت ثلاثة مكتبات في مكتبة واحدة كبيرة استغرقت مدة ستة أشهر عملية نقلها عندما ضاق بها مكانها الأصلي، فنقلت الى مكان أكبر (المقري:1949،ص395)[47]،أما عملية جردها وتنظيم كتبها ومصنفاتها فاستغرقت أكثر من عام بالرغم من كثرة ما قام بذلك العمل (عياض:1968،ص638)[48].

فلا غرو، ان تصبح حضارة المسلمين في الأندلس مركزاً للازدهار والنشاط الفكري والحركة العلمية، في عهد الحكم المستنصر استمراراً لمركزها في عهد أبيه.

الخاتمة:

مما تقدم يمكن ان نصل باستنتاجات وضعناها على النحو الأتي:

- إن محيط الحكم المستنصر الاسري وبيئته العلمية قد جعلت منه شخصا يحب الدرس والمطالعة والقراءة والمتابعة، يقدر العلم والعلماء، فهو بذلك ساهم في العطاء المعرفي والثقافي في الأندلس.

---

37 ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص202.
38 المقري، مصدر سابق، ج1، ص386.
39 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808ه)، العبر في ديوان المبتدأ والخبر، مج4، (بيروت :1971)،ص146.
40 ابن الابار، التكملة، ج1، ص192.
41 ابن الفرضي، مصدر سابق، ج1، ص299.
42 المقري، مصدر سابق، ج3، ص111.
43 عياض، مصدر سابق، ج4، ص543.
44 المصدر نفسه، ص556.
545 المقري، مصدر سابق، ج1، ص395.
646ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص201.
47 المقري، مصدر سابق، ج1، ص395.
48 عياض، مصدر سابق، ص638.

- بروز الحكم المستنصر (302 _ 399 هـ) في العالم العربي الاسلامي في مقدمة الذين خدموا الحركة العلمية وهيأوا لها مقومات النجاح، وقدموا الكثير من الفكر والجهد والمال في سبيل دفعها خطوات واسعة الى الامام، حتى صارت النهضة العلمية من أبرز سمات عصره.
- ما ترتب عن هذا الجهد المعرفي ان اصبحت قرطبة والأندلس والعالم العربي الاسلامي مركز اشعاع فكري للعالم اجمع.
- ما تم اجازه من قدوم للعلماء وعلى مختلف اختصاصاتهم وتأليفهم للمصادر برعاية وحظوة الخليفة نفسه، يدل على ان عصره شهد هدوء واستقراراً سياسياً الى حد ما وأنه لم يتبنى توجهاً فكرياً معيناً، إنما انصب اهتمامه على تأكيد التوجه الثقافي والحضاري مع حواضر العالم الاسلامي آنذاك.
- كثرة الكتب التي حوتها مكتبته جعلته متقدم بالوصف، اذ لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده، الا الناصر العباسي ابن المستضيء الذي حوت مكتبته على عدد هائل من الكتب.
- هكذا عاشت الأندلس عامة وقرطبة خاصة في عهده أجواء سياسية هادئة، وحراكاً حضارياً متواصل فهنا من يؤلف وهناك من ينسخ وذلك من يلقى المحاضرات، فلا عجب ان ترقى جهوده الى أعلى المراتب فنصفه بـ الخليفة المتنور.
- ما قدمه من اهتمام بالعلماء والكّتاب وإبرازه للجانب الحضاري لمدينته حري بمن يتولى المناصب السياسية ان يكون الحكم المستنصر قدوته وإن يحذوا حذوه في رعاية اصحاب النتاج الفكري وتقريبهم.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الابار، ابو عبد الله محمد ابن عبد الله (ت659ه)، التكملة، تحقيق: عزت العطار الحسيني، ج1-2، (القاهرة: 1955_1956).
2. الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج1-2، (القاهرة: 1963).
3. ابن الاثير، أبو الحسن علي (ت630ه)، الكامل في التاريخ، مج 7، (بيروت: 1987).
4. حسين، حمدي عبد المنعم، تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، (القاهرة: 2009).
5. جمال الدين، محسن، أدباء بغداديون في الأندلس، (بغداد: 1962).
6. ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد (ت456ه)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، (القاهرة: 1997).
7. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله (488ه)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن الدسوقي، (بيروت: 1997).
8. ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبد الله محمد(ت776ه)، الاحاطة في اخبار غرناطة، ط2، تحقيق: محمد عبد الله عنان (القاهرة: 1979).
9. الدوري، ابراهيم ياس خضير، عبد الرحمن الداخل في الأندلس، (بغداد: 1982).
10. الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد (ت748ه)، العبر في خبر من غبر، ج1،(بيروت :1997).
11. الزبيدي، أبوبكر محمد بن حسن (ت379ه)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، (القاهرة: 1973).
12. سالم، عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ط2، (القاهرة: 1986).
13. عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي-عصر سيادة قرطبة، (بيروت: 1960).
14. عياض، ابو الفضل بن موسى الحصبي السبتي (544ه)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك تحقيق: أحمد بكير حمود، ج4، (بيروت: 1968).
15. ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي(403ه)، تاريخ علماء الأندلس، ج1-2، (القاهرة: 1966).
16. مطلق، البير حبيب، الحركة اللغوية بالأندلس، (بيروت: 1967).
17. المقري، شهاب الدين احمد بن محمد(1041ه)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1-3، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: 1949).
18. النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله (793ه)، المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ط5، (بيروت: 1983).
19. هيكل، احمد، الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، (القاهرة:1970).